﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء: 84]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

يَصدُرُ المرءُ في عَمَلِه عن شاكِلتِه التي اختارَ أن يكونَ عليها

لمّا ذكر في الآية السّابقةِ أنَّ حالَ الإنسان الإعراضُ أوِ اليأس، وكان هذا مفهومًا منه الحالُ الغالبةُ على المجموعِ لا الجميعِ؛ أخبر في هذه الآية عن سبب هذا الانقسامِ بينهم، وهو أنَّ كلًّا منَ الشّاكر والكافر إنَّما يَصدُر في عَمَلِه عن شاكِلتِه التي اختار أن يكون عليها، قال الآلوسيُّ: "إنَّه سبحانه بعد أن ذكر حالَ القرآن بالنِّسبة إلى المؤمنين وإلى الكافرين، وبيَّن حالَ الكافر في حالَيِ الإنعام ومقابلِه؛ ذكرَ ما يصلحُ جوابًا لمن يقول: لِمَ كان الأمرُ كذلك؟ فقال عزَّ قائلًا: قُلْ كُلٌّ، أيْ: واحد منَ المؤمن والكافر والمُعرض والمُقبل والرّاجي والقانطِ يَعْمَلُ عملَه عَلى شاكِلَتِه، أي: على مذهبه وطريقته التي تُشاكلُ حالَه، وما هو عليه في نفس الأمر، وتُشابهُه في الحسن والقُبح"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿شَاكِلَتِهِۦ﴾: (شكل) من باب المُماثَلَةِ واجتماع المتماثل، ومنه: شَكَلْتُ الدّابَّةَ، أي: قيّدتُها، وذلك بضمّ قوائمها المتشاكلة، والشِّكالُ: ما يقيَّدُ به، ومنه استُعير: شَكَلْتُ الكتاب، كقوله: قيَّدته، ودابَّة بها شِكالٌ؛ إذا كان تحجيلُها بإحدى رجليها وإحدى يديها كهيئة الشِّكالِ[2]، وقولُه: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾، أي: على سجيَّته التي قيَّدته، وذلك أنَّ سلطانَ السَّجيَّة على الإنسان قاهرٌ[3]، وذهب

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 143.
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (شكل).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (شكل).

ابنُ عاشور إلى أنَّ أَصْلَ الشّاكلة مِنَ شاكِلَةِ الطَّريق، وهي الشُّعْبَةُ الَّتي تَتَشَعَّبُ مِنْهُ، قالَ النّابِغَةُ يَذْكُرُ ثَوْبًا يُشَبِّهُ بِهِ بُنَيّاتِ الطَّريقِ[1]:

لَهُ حُلُجٌ تَهْوي فُرادَى وتَرْعَوي *** إِلَى كُلِّ ذي نَيِّرَيْنِ بادي الشَّواكِلِ

وقال: وهذا أَحْسَنُ ما فُسِّرَ بِهِ الشّاكِلَةُ هُنا، وعليه فالمُرادُ بالشّاكِلَةِ في الآية: الطَّريقَةُ والسّيرَةُ الَّتي اعْتادَها صاحِبُها، ونَشأَ عليها[2].

2) ﴿أَهْدَىٰ﴾: أصلُ (هدي) الرَّشادُ والبَيانُ والدَّلالةُ بلُطْفٍ إلى ما يوصِلُ إلى المَطْلوبِ، يُؤَنَّثُ، ويُذَكَّرُ، وهو لازِمٌ ومُتَعَدٍّ، يُقالُ: هَداهُ، هُدًى، وهَدْيًا، وهِدايَةً، وهِدْيَةً، وهَداهُ للدّين وإلى الدّين، أي: أَرْشَدَهُ إليه، وبَيَّنَهُ له، وعَرَّفَهُ به، وضِدُّه: الضَّلالُ[3]، والهِدايَةُ: الإرشادُ على المقصد النّافِعِ والدَّلالةُ عليه[4]، والمرادُ بقوله: ﴿أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ في الآية: أبينُ منهاجًا، وأرشدُ طريقًا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُبَيِّنُ الحقُّ سبحانه أنَّه لا يخفَى عليه شيءٌ من أحوال النّاس وأعمالِهم، فقال: (قُلْ يا مُحَمَّدُ ﷺ مُخبِرًا للنّاسِ: كُلُّ إنسانٍ يعمَلُ على وفقِ نيَّتِه، وبحَسَبِ طريقَتِه التي تَليقُ به، وتُناسِبُ أخلاقَه وطَبيعَتَه، ومَذهَبَه وعادَتَه التي أَلِفَها)، فالكافِرُ يعمَلُ بما يُشبِهُ طَريقَتَه مِن مُقابَلةِ النِّعَمِ بالمعاصي، والإعراضِ عنِ المُنعِمِ، والمؤمِنُ يعمَلُ بما يُشاكِلُه مِن شُكرِ النِّعَمِ، ومَحبَّةِ المُنعِمِ بها، والثَّناءِ عليه، والتودُّدِ إليه، والحياءِ منه، والمُراقبةِ له، وتَعظيمِه وإجلالِه ﷻ،

الله تعالى أعلمُ بالمؤمن والكافرِ وما سيحصلُ من كلِّ واحدٍ منهما

(1) البيت منَ الطَّويل، في ديوانه، ص: 142، والأعلم الشّنتمري، أشعار الشُّعراء السّتة الجاهليين، ص: 41.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 194.

(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن سيده، المحكم، وابن الأثير، النّهاية، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (هدي)، والجرجانيّ، التّعريفات، ص: 277، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 343.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 101.

فرَبُّكم - أيُّها النّاسُ - أعلَمُ بالمُؤمِنِ والكافِرِ منكم، ومَن هو أهدى طريقًا إلى الحَقِّ مِن غَيرِه، وسيُجازي كلَّ عامِلٍ بعَمَلِه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الفصلِ في الآية:

فُصِلَتْ جملةُ ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ لتنزيلها منزلةَ البيان العامِّ والعِلَّة الفاصلةِ في تصنيف النّاس، بعد تفصيل أحوالِهم مع الحقِّ والباطل، فالمؤمنون بالقرآن ينتفعون به شفاءً ورحمةً، والظّالمون يزدادون به بُعدًا وشؤمًا؛ لأنَّهم مُنجذبون للباطل مغرورون به، فالحقُّ كريهٌ لهم، وعبءٌ عليهم، فكأنَّه كشفَ هنا عن عِلَّة هذا الانقسام، وساقه مساقَ الأمثال المَصوغة في قوالب الانفصالِ عنِ الكلام، ليصحَّ انتزاعُها والاستشهادُ بها استقلالًا في عموم مواقفِ التَّصنيف والمفاصَلةِ بين أنواع الإنسانِ في الخصائص والحقائقِ، ويصحُّ إجراءُ الجملة في فصْلِها عمّا قبلها استئنافًا بيانيًّا، فبينها مع ما قبلَها شبهُ كمالِ اتِّصالٍ[2].

اللـه أعلـمُ بمعادنِ النّاسِ من أنفسِهم

توجيهُ التَّذييلِ في الآية:

قولُه تعالى: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ تذييلٌ؛ لِما في كلمةِ ﴿كُلٌّ﴾ منَ العُموم، وهذا التَّذييلُ تَنهيةٌ للغرَضِ الَّذي ابتُدِئَ من قولِه: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الإسراء: 66] الرّاجعِ إلى التَّذكيرِ بنِعَمِ اللّهِ تعالى على النّاسِ، في خلال الاستدلال على أنَّه المُتصرِّف الوحيدُ، وإلى التَّحذير من عواقبِ كُفْران النِّعم، فهذه الجملةُ في الآية تجري مجرَى المثلِ[3].

نِعمُ اللهِ واجبةُ التَّذكُّرِ الدّائمِ، وعواقبُ كُفرانِها وخيمةٌ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 65، والواحديّ، البسيط: 13/ 459، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 481، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 322.

(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 143.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 193 - 194.

دلالةُ فعلِ الأمرِ ﴿قُلْ﴾:

افتتاحُ الخطاب بـ(قُـل) مُبالغةٌ في الإلـزام به والتَّنبيهِ على خطر مضمونِه

فعلُ الأمر ﴿قُلْ﴾ على حقيقته من إلزام البلاغ بما في حيّزه من مَقوله، وفي الافتتاح به إشارةٌ إلى الجُهوريَّة في الخطاب، وقوَّةِ التَّوجيه لمضمونه بطريق الأمرِ الإلزاميِّ، وشدَّةِ الانفعال لِما سيُلقَى بعده، بتصدير فِعل القولِ قبل الشُّروع فيه، للدَّلالة على أنَّه لأهمّيَّته وخطورته ساقَه، كما أُلقي عليه بـ﴿قُلْ﴾، مع ما في هذه القوليَّةِ منَ الدَّلالة على التَّداوليَّة المُتواليةِ لهذا الخطاب، فكلُّ أحدٍ سيتلوه، ويسمعُه، سيُجريه بلفظ ﴿قُلْ﴾، فيكون إلزامًا مطَّردًا لكلِّ سامعٍ وتالٍ بخصوصِه وحسبِه.

دلالةُ التَّنوين في ﴿كُلٌّ﴾:

يعـودُ النّـاسُ فريقين فريقًا هـدى وفريقًا ضَلَّ

التَّنوينُ في ﴿كُلٌّ﴾ للعوض عنِ الإضافة، أي: كلُّ قسمٍ أو كلُّ فريقٍ من هذين[1]، فالتَّنوين قائمٌ مقامَ المضاف إليه الذي يقدِّرُ بما يناسبُ المقام، وحُذِفَ المضافُ لغرض الإيجاز؛ لاستيضاح مدلولِه ومعناه من غير التباسٍ.

إيثارُ لفظِ العمل:

الأعمالُ مقاصِدُ الأفعالِ

إيثار لفظ العمل من قوله: ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ للدَّلالة على القصد والإرادةِ، فهي أعمالٌ مكتسبةٌ لأصحابها من غير سهوٍ أو خطأ، بل على جهة العمد، وهذا يومئُ إلى أنَّهم مؤاخَذون على تلك الأعمال إن خيرًا وإن شرًّا.

نُكتةُ التَّعبيرِ بالمضارع ﴿يَعْمَلُ﴾:

العـادةُ أمـارةُ الانـطـبـاعِ وللمُلازَمةِ

التَّعبيرُ بالمضارع في قوله: ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ يدلُّ على استمرار الإنسان على إحداث الأعمالِ التي توافقُ طبعَه منَ الخير أوِ الشَّرِّ، فما يزال يتحرَّكُ بالعمل بناءً على هذا الوازعِ فيه، وفي هذا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 499.

إيماءٌ إلى ضرورة التَّوقّي من أعماله التي تصدرُ عنه طوعًا وسهولةً تَبَعًا لشاكلته المألوفةِ بالهوى، حتّى لا يتعسَّرَ عليه الإصلاحُ والتَّزكية بما يوافقُ الهدى.

بلاغةُ الاستعارةِ في ﴿عَلَىٰ﴾:

شاكِلةُ الإنسانِ هي ظاهِرُه الذي يتولَّدُ عن باطِنِه

﴿عَلَىٰ﴾ في قوله: ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ للاستعلاءِ المجازيِّ، كأنَّ عمَلَه سائرٌ على طريق حالِه وطبْعه الذي تَشكَّل من صفاته وعاداته، فمذهبُه وطريقتُه التي تُشاكِل حالَه أصلٌ ثابتٌ ينشأ العملُ عليها، كالأرض الثّابتة التي ينشأ عليها المرءُ في حركةِ معاشِه، وفي هذا المعنى من حرف الاستعلاء في التركيب، استعارةٌ تمثيليَّة؛ إذ شبَّه العاملين بالإيمان أوِ الكفر بناءً على طرائقهم وشواكِلِهم، بالسّائرين على طريقٍ يحدِّدُ وِجْهتَهم، ولولا هذا الطَّريقُ؛ ما كانت وِجْهةٌ ولا سَيْرٌ، فكذلك هم تتحدَّدُ أعمالهم بناءً على شواكلهم التي هي الأساسُ والأصل، وباعتبار معنى الحرف دون النَّظر لكامل التَّركيب، فالاستعارةُ مكنيَّةٌ حُذِفَ منها المشبَّهُ به، والأوَّل أحسنُ.

بلاغةُ المجازِ: ﴿شَاكِلَتِهِۦ﴾:

الشّاكِلةُ هي العادةُ والطَّبْعُ والدّينُ، وأصلُه المِثْل والنَّظير، ليدلَّ على أنَّ العملَ شبيهُ النَّفْس، وناتجُ الطَّبْع والرّوح، فهو مُحاكاةٌ لها وانعكاسٌ لِشَكْلِها[1]، وفي التَّعبير بـ﴿شَاكِلَتِهِۦ﴾ مجازٌ مرسَل علاقتُه الإطلاقُ والتَّقييدُ[2]، فالشّاكِلَةُ تتعلَّقُ بالهيئةِ الظّاهرةِ فأطلقَها على الهيئةِ الكامنةِ.

دلالةُ الفاء:

مَنْ يعلَمُ يُجازي ويُحاسِبُ

جملةُ ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾ تفريعٌ على جملة ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ لترتُّبِها عليها تَرتُّبَ المُجازاة عنِ العمل، ولذا وصلَها بالفاء.

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 265.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 577.

بلاغةُ الكنايةِ في قوله: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾:

أعمالُ الإنسانِ قرينةُ الجزاءِ

قوله: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾ كنايةٌ عنِ الجزاء والحُكم عليهم بعد الإخبار عن أعمالِهم وطرائقِهم في قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾، فعقَّبَ على ذلك بما يتضمَّنُ الحسابَ عليه، وهو لازمُ العِلم المذكور[1].

إيثارُ لفْظِ الرُّبوبيَّةِ:

الـرُّبـوبـيَّـةُ هي عِـلَّـةُ المـُجـازاةِ والحسابِ

لم يقل في السّياق الكريم: (فاللّه أعلم بمن هو أهدى)؛ لأنَّه أسندَ العِلم إلى المُهتدي الذي يقتضي العِلمُ به الإحسانَ إليه ومثوبتَه، فناسب الرُّبوبيَّة إطماعًا في حذْو شاكلتِه وطريقتِه في الهدى، ولأنَّ العِلم المذكورَ هو أثرٌ من آثار الرُّبوبيَّة، وهي العلمُ بخَلْقِهم وصورِهم، بما يُؤذِن بالإحاطة بأعمالهم وأحوالِهم، وهذا من أفعال الرُّبوبيَّة، كأنَّه قال: (ربُّكم الذي خلقكم وصوَّركم هو الأعلمُ بشاكلتِكم)، فالرُّبوبيَّةُ هي عِلَّةُ المجازاة على جهة التَّفصيل، و"الرَّبُّ: المُتولّي للتَّربية، والمُتولّي للتَّربية - لا شكَّ - يعلمُ خبايا المُربَّى، ويعلمُ أسرارَه ونياته"[2].

إضافةُ لفظِ الرُّبوبيَّةِ إلى ضميرِ الخطابِ الجمعيِّ:

الإيمانُ بربوبيَّة اللـه يُـنـافي التَّشاؤمَ

أضاف لفظَ الرُّبوبيَّة إلى ضمير الخطابِ الجمعيِّ ﴿فَرَبُّكُمْ﴾؛ لترغيب المهتدي في الاستمساك بسبيلِه منَ الهدى، فالخطابُ لتثبيته وتشريفه، ولاستمالة المُعرِضِ ألّا يتشاءمَ أو ييأس، ففيه تعريضٌ به بمواجهته بخلاف حالِه.

دلالةُ التَّفضيل في قوله: ﴿أَعْلَمُ﴾:

التَّفضيلُ مُؤْذِنٌ بكمال الصِّفةِ

جاء بناءُ التَّفضيل في قوله: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾ لغير قصد المفاضلةِ، فاسمُ التَّفضيل قد يُستعمَلُ لا لتفضيل شيءٍ على شيءٍ

(1) الشّربينيّ، السّراج المنير: 2/ 332، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 194.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 14/ 8717.

آخَرَ معيَّنٍ، بل قد يُرادُ به مجرَّدُ الزّيادة في أصل الوصفِ، فيُرادُ باسم التَّفضيل تجاوزُ صاحبِه وتباعدُهُ عنِ الآخر في الفعل، لا بقصدِ تفضيله بالنِّسبة إلى غيره، بل بمعنى: أنَّ صاحبَه متباعِدٌ في أصل الفِعل، متزايدٌ في كمال الصِّفة، فيفيدُ التَّفضيل المطلَقَ والكمالَ المتفرِّدَ، وهذا هو المرادُ من قوله: ﴿أَعْلَمُ﴾[1].

معنَى الباء في ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ﴾:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ﴾ للتَّعدية، فاسمُ التَّفضيل لا يتعدّى بنفسه إلى المفعول، بل يتعدّى بوساطة حرف الجرِّ، فإن كان من فعلٍ دالٍّ على علمٍ أو جهلٍ؛ عُدّي بالباء[2].

عِلمُ الله لَصيقٌ بالمعلوماتِ كشْفًا لها وإبانةً عنها

إيثارُ الموصول (مَن) دون غيره:

إيثارُ التَّعبير بـ(مَنْ) في قوله: ﴿أَعْلَمُ بِمَنْ﴾ دون غيره منَ الموصولات، للدَّلالة على الذّواتِ العاقلةِ المُكلَّفة، واستعملَ الموصولَ المشترك دون الخاصِّ، ليدلَّ على الذَّكر والأنثى في عِلمِه بهما على السّواء، ولذا لم يقل: (أعلم بالذي).

النِّساءُ شقائقُ الرِّجالِ في التَّكاليفِ والعواقبِ

نكتةُ التَّعبير بالضَّمير ﴿هُوَ﴾:

ذُكِرَ الضَّمير المنفصل في قوله تعالى: ﴿بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ﴾، ولم يقل: (أعلم بمن أهدى)، للمبالغةِ في تعيين كلِّ عاملٍ بذاته.

كلٌّ مرصودٌ تحتَ عِلمِ الله

دلالةُ صيغةِ (أفعل) في ﴿أَهْدَىٰ﴾:

عبَّر بصيغة التَّفضيل في ﴿أَهْدَىٰ﴾ من قوله: ﴿أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾؛ لأنَّ العِلم بالأفضل يقتضي العلمَ بالمفضول، ولأنَّ الآياتِ في سياق القرآن وتنزُّله بالرَّحمة والشِّفاء، فكأنَّه قال: الأليقُ بالقرآن أنْ يَصِل للدَّرجةِ القُصوى بالعبدِ في الهداية، وهو المُعبَّر عنها باسم التَّفضيل، فاصطفاه لذلك، وأيضًا هو سبحانه قال:

كلَّما حدثَ تنزُّلٌ بالشِّفاء والرَّحمةِ؛ حدثَ معه قدرٌ زائدٌ في الهدايةِ

(1) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 39، وفاضل السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 313.
(2) فاضل السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 313.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾، فكلَّما حدثَ تنزُّلٌ بالشِّفاء والرَّحمة؛ حدثَ معه قدرٌ زائدٌ في الهداية، حتى يصِل إلى كمال الصِّفةِ وإلى درجتها القُصوى، فناسَبَ ذلك التَّعبيرُ بـ﴿أَهْدَىٰ﴾.

بلاغةُ اصطفاءِ جملةِ الفاصلةِ دون مُقابِلِها:

لم يقل في السّياق الكريم: (أعلم بمن أضلَّ سبيلًا)، بل قال: ﴿أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾، مع أنّ السّياقَ يشمل الفريقَين، ولكنَّه ذكرَ الأهدى دون الأضلِّ، ونكتةُ ذلك: ليدلَّ على أنَّ الأصلَ الذي يقوم عليه القرآنُ الكريم هو الهدى، وأمّا الضَّلالُ الحاصلُ؛ فليس بسببه أصالةً، بل بسبب زيْغِ قلوبِهم عنه، وأيضًا: توافقًا مع المقام، فإنَّه نسبَ الإنعام إلى ذاته، ونسب الشَّرَّ لغير ضميره، فوافق هنا ألّا يُسنِد عِلمَه إلّا إلى جانب الهداية، أو طوى ذِكْرَ (مَنْ أضلّ) إعراضًا عنه على جهة الوعيدِ له، ففي الإعراض وعيدٌ، أو طوى ذِكْرَه إفساحًا له وإمهالًا؛ لينضمَّ لسبيل المهتدين المذكورين، فلم يذكُرْه لا للإعراض والمُجافاة، بل للإمهال والصَّبرِ عليه.

الإعـــراضُ قد يَصدرُ عن تصبُّرٍ وإمهالٍ، لا عن مجافاةٍ وإغلاظٍ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الشّاكِلةُ والمِثْلُ والنَّظيرُ:

الشّاكِلَة: من الشَّكْل: وهو الهيئةُ والصّورة، وأصلُه منَ الشَّكْل وهو تقييدُ الدّابَّة بالشِّكال، أي: القيد[1]، ولذا اختُصَّ الشكلُ بالهيئة والصّورة؛ لأنَّ المرءَ مُتَقَيِّدٌ بهما، لا ينفكُّ عنهما، ولأنَّهما أوَّلُ ما تقع فيه المُحاكاةُ والمُماثلة، والمُشاكلَة: المُماثَلةُ حين تقعُ فيهما، أي: في الهيئة والصّورة، والشّاكِلَة: اسمُ فاعل للمُتَّصِف بذلك، أي: بمن تماثَل طَبْعُه وروحُه مع هيئته وصورته، وهو كنايةٌ عنِ اتِّحاد الحال

إطلاقُ الشّاكلةِ على المُتَّصفِ طَبْعُه وروحُه مع هيئتِه وصورته

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شكل).

وعدمِ تعدُّد الوجوهِ، فله حالٌ واحدة ووجْهٌ واحدٌ، ولذا كان إطلاقُ الشّاكلة على الباطن والجوهر مجازًا؛ لأنَّها تتعلَّقُ بالهيئة والشَّكل والصّورة الظّاهرة لا الخفيَّةِ، ولكن لمّا كان الأصلُ اتِّحادَ الباطن مع الظاهر في هيئته وصورته، بحيث يتماثلان، ولا يتنافران؛ شبَّه الطَّبْعَ والسَّجيَّةَ المعتادة بالصّورة والهيئة في اعتيادهما وعدمِ تغيُّرِهما، على جهة الاستعارة التَّصريحيَّةِ، أو أطلقَ الشّاكلةَ التي يرادُ بها الهيئةُ والصّورةُ الظاهرة، وأراد بها الهيئةَ النَّفسيَّة الباطنةَ على طريقة المجازِ المرسلِ بعلاقة الإطلاق والتَّقييد[1]، ومن هنا كان اختيارُ لفظِ الشّاكلة أنسبَ لسياق الآيةِ بكونِه وصفًا لمن تماثَل طَبْعُه وروحُه مع هيئتِه وصورتِه.

والمِثل: أصلُ (مثل): انتصابُ الشَّيء على صورةٍ معيَّنةٍ، ومنه: (المِثْل)، وهو المُشابه الذي يُحاكي الشَّيء في صورتِه وأجزائه، وتقعُ المُماثلة في الاتِّفاق الكيفيِّ بين شيئين؛ لأنَّها مُشابَهةٌ في التَّفاصيل والكيفيّاتِ الدَّقيقةِ، ولذا أطلِقَ المَثَلُ على الصِّفة والحالِ العجيبةِ للشَّيء، لوقوعها على مِثالٍ كيفيَّةٍ معيَّنةٍ ومخصوصةٍ[2].

والنَّظيرُ: من (نظر) وهو تقليبُ البصر وتوجيهُه إلى جهة المنظور، ومنه النَّظيرُ: وهو الشبيه المُماثِل؛ لأنَّهما سواءٌ في نَظَر الرّائي، أو لأنَّ التَّشابه بين النَّظيرَين يُعرَف بمجرَّد النَّظر، أو لأنَّ آلةَ إدراكِ المماثلة بينهما النَّظرُ[3]، ولذا يُقال: النَّظيرُ في التَّشابه المعقول بنظرِ العقل، أوِ التَّشابه المحسوس بنظر العَيْن، وهو أخصُّ منَ (الشَّكْل)؛ لأنَّ الشَّكل يقعُ في عموم الهيئةِ والصّورة من غير اعتبارٍ بآلةِ ذلك، أمّا النَّظير؛ فيُراعَى فيه التَّقيُّدُ بفِعل الآلة، وهو النَّظَرُ بمواجهةِ البصر أوِ البصيرة للشَّيء، وأمّا المثيلُ؛ فهو أخصُّ - أيضًا - لأنَّه يتعلَّق بحال الانتصابِ والظُّهورِ التي يقع عليها المُحاكاةُ في النَّمط والتَّفصيل، فهو أكثر دِقَّةً في التَّشابه.

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 577.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مثل).

(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نظر).

السَّبيلُ والطَّريقُ والجادَّةُ:

السَّـبـيـلُ هو الـطَّـريـقُ الـذي يتحدَّرُ بسالكِه لسهولتِه

السَّبيلُ: هو الطَّريق السَّهلةُ المعبَّدة؛ لأنَّ أصلَ (سبل) يدلُّ على إرسال الشَّيء من أعلى إلى أدنى[1]، فيتحدَّر في سهولةٍ، فكذا السَّبيلُ هو الطَّريقُ الذي يتحدَّر بسالكه لسهولتِه، **والطَّريقُ:** مِنَ الطَّرْق، وهو الضَّربُ، وهو السَّبيل الذي يُطرَقُ بالأرجل في الأرض[2]، سواءٌ كان سهلًا أم وعِرًا، فهو أعمُّ، وأمّا الجادَّة؛ فهي القِطعةُ السَّويَّة منَ الطريق، فهي أسلمُ وأكملُ ناحيةٍ فيه، وأصلُ (جدد) القطْعُ، فكأنَّ الجادَّةَ قُطِعتْ مِنَ الطَّريق واختيرتْ للسُّلوك السَّويّ[3]، ويُلاحظُ في معنى **الجادَّة**: القطعُ والمُفاصَلَةُ، وفي معنى السَّبيل: الإرسالُ والتَّسهيل، ولذا قال هنا: ﴿أَهۡدَىٰ سَبِيلًا﴾، ليدلَّ على سهولة الهدايةِ في اعتناقها؛ لأنَّها مُرسَلَةٌ في النَّفْسِ مُنسابَةٌ فيها بأصل الفطرة، فلا عُسْرَ فيها، ولا عَنَتَ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (سبل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (طرق).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جدد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»